المحاضرة: **انصهار الآفاق:** (Fusion d'horizons)

يوظف ياوس هذا المفهوم لوصف هذه العلاقة الحوارية بين أفق الانتظار التاريخي الراهن، وبين الأفق الماضي للعمل الأدبي والعملية التفاعلية بينهما، بحيث يتم فهم نص أدبي ينتمي إلى الماضي عبر إعادة بناء علاقاته بقرائه المتعاقبين، وسيرورة التلقيات المتتالية، انطلاقاً من الحاضر. وهنا يلجأ ياوس إلى ما يسميه "غادامير" "باندماج الآفاق"* والذي يحدده: «بأن أفق الحاضر في تشكل دائم لأنه من واجبنا باستمرار أن نختبر أحكامنا المسبقة، من مثل هذا التجريب يأتي اللقاء مع الماضي، وفهم الموروث الذي ننتمي إليه. لا يستطيع أفق الحاضر أبداً إذن أن يتشكل دون الماضي. إضافة إلى ذلك، لا يوجد أفق للحاضر يمكنه أن يوجد إذا لم يكن يوجد آفاق تاريخية نتواصل معها »[1]. وبالتالي فإعادة بناء ووصف الأفق الماضي كما كان يكون مشروطاً بالضرورة بالأفق الراهن، أو بالتوتر الذي يحدث بين الأفقين التاريخيين*. من ذلك فتاريخ التلقي لن يكون سوى سيرورة من الفهم المتنامي والمتطور الذي يعرفه العمل الأدبي عبر التاريخ، من خلال جدلية السؤال والجواب. فالسؤال الذي أجاب عنه العمل عند ظهوره، وبين الأجوبة التي قد تؤخذ منه لاحقاً بتفاعله مع قرائه المتأخرين زمنياً.

- **منطق السؤال والجواب:**

يستعير "ياوس" هذا المفهوم من "غادامير" الذي يرى أن فهم العمل الأدبي، هو بمثابة الفهم للسؤال الذي يطرحه هذا العمل للقارئ باعتباره جواباً، لأن النص عندما يكون بين يدي القارئ، يصبح موضوعاً للتأويل منتظراً جواباً ما عن سؤاله[2]. ويمكن أن تنقلب

هذه العلاقة بين النص والقارئ، ويصبح القارئ بدوره هو صاحب سؤال ينتظر من النص جواباً ما. وهكذا تخضع العلاقة بين الطرفين لمنطق السؤال والجواب وفق لعبة حوارية دائرية تدعى الدائرة الهرمينوطيقية.

ويرى أن النص الأدبي هو جواب عن سؤال القارئ، كما تبيّن له أن فهم نص أدبي ينتمي إلى الماضي يتطلب إعادة استكشاف السؤال الذي قدّم له جواباً في الأصل، أي إعادة بناء أفق الأسئلة أو أفق انتظار القراء الأوائل. فالقراءة التاريخية تقتضي إعادة تشكيل أفق الانتظار الأول للعمل الأدبي، وذلك بالبحث عن الأسئلة الضمنية التي كان النص في عصره إجابة عنها.

إن تأويل نص أدبي كجواب يستلزم أن يتضمن: من جهة جوابه عن انتظارات شكلية يحددها التقليد الأدبي الذي يسبقه، ومن جهة ثانية جوابه عن أسئلة المعنى كما يحتمل أن يكون قراؤه الأولون قد طرحوها داخل عالمهم التاريخي المعيش. فعبر هذه الأسئلة نتجاوز مجرد إعادة تشييد الماضي إلى إظهار البعد الزمني الذي تسكت عنه القراءة الجمالية، والقراءة التأويلية، والكشف عن كيفية توسُّع معنى النص تاريخياً، بواسطة التفاعل المستمر بين الوقع والتلقي، دون إغفال الاختلاف بين الأفق الماضي للفهم وبين الأفق الحاضر.

وهذا ما سيحمل القارئ التاريخي إلى الاستفادة من العلاقة بين السؤال والجواب، للوصول إلى السؤال الأصلي الذي قدّم له النص جواباً ضمن أفقه التاريخي الماضي، ثم الوقوف بعد ذلك على الأسئلة والأجوبة التي تعاقبت عبر تاريخ قراءة النص وتأويله. وينتهي في الأخير إلى الأسئلة الحاضرة التي يدفعه تأويله الخاص إلى طرحها. وبذلك« يصير تاريخ قراءات نص أدبي ما لعبة حوارية مفتوحة على الأسئلة والأجوبة »[3]. وبالتالي يتمثل

التاريخ الأدبي باعتباره تطوراً أدبياً مستمراً، وذلك من خلال فهم هذه السلسلة من القراءات المتتالية. ولكي تكتسب الدراسة التعاقبية (diachronique) وظيفتها ودلالتها الكاملة . هي دراسة الأعمال الأدبية عبر الزمن . يرى "ياوس" أنه يجب القيام بدراسة تزامنية (synchronique) . تلقي الأعمال الأدبية في لحظة معيّنة من الزمن . لأن هذه الأخيرة هي التي تسمح لنا باكتشاف "النسق الكلي" الذي يميّز كل لحظة من لحظات التاريخ، وفهم علاقاته "التزامنية" و"التعاقبية" مع مختلف النصوص الأدبية، والتمكن من إدراك التحولات والتغيّرات التي تعرفها البنيات الأدبية عبر التاريخ[4].

من هذا المنطلق سنحاول دراسة الكتابة الإبداعية الجزائرية، وفهم علاقة النص بقارئه والكشف عن هذه الحوارية بينهما، وذلك بتتبع القراءات التاريخية المتتابعة في اختلافها وتعارضها مرة في اتفاقها أحياناً أخرى. والعمل على إعادة بناء أفق انتظارات القارئ والعلاقة بين قراءة جيل وقراءة جيل آخر سابق أو لاحق. ونبرز الاختلاف بين الأفق الماضي والأفق الحاضر للفهم (الشعر، المسرح، الرواية)، ونبحث في مدى استجابة النص لأفق انتظار القارئ الأول، وردود فعل المتلقي عبر الزمن، وكيف استطاع هذا النص الإبداعي أن يُنتج باستمرار عبر تاريخ تلقيه دلالات مختلفة لم تستنفذ معناه ؟ وما هو السرّ في بقاء هذه النصوص حاضرة عبر قراءات متجددة وتلقيات متنوعة، وما هي طبيعة الأسئلة التي يطرحها الكتاب في أعمالهم؟ وكيف قرأها القارئ وهل تستجيب لتساؤلاته، وما هي القضايا التي استوقفته أثناء فعل القراءة ؟